مسرحية زنوبيا

يسرى الأيوبي

الفصل الأول

المشهد الأول

قاعة العرش في تدمر.. تدخل زنوبيا ولونجينوس.

زنوبيا انتظرت قدومك بفارغ الصبر يا لونجينوس.

لونجينوس مولاتي لا أستطيع أن أعبر عن فرحي بلقياك..كنت ضائعاً فوجدت نفسي حين عدت إلى تدمر.

زنوبيا في مثل هذا اليوم منذ خمسة أعوام قتل أذينة.

لونجينوس يا مولاتي أنا أعلم أنك تكتمين من الحزن عليه أكثر مما تبدين

زنوبيا لأن واجبات الحكم تفرض علي أن أكون امرأة لا كالنساء، أن أزدري ضعف بنات جنسي. ولكن في أعماقي امرأة كانت تحب زوجها وتفتقده.

لونجينوس كان أذينة رجلاً لا كالرجال..

زنوبيا أي رجل يا لونجينوس! ليس له مثيل ولن أجد في حياتي نداً له.

لونجينوس في هذا العالم الذي صغر فيه الرجال كان رجلا شجاعاً شهماً..

زنوبيا لم يكن أذينة مجرد رجل شجاع..

لونجينوس إن هزيمته لملك الفرس العظيم شابور جعلت له سمعة مدوية.

زنوبيا لست أفتقد الرجل الشجاع وحده.. حقا جعل شابور يهرول حتى أبواب عاصمته، هذا الذي أقض مضجع الرومان وأذل قوادهم..

لونجينوس وأنت يا مولاتي كنت رفيقة له في هذا النصر..

زنوبيا أعلم أن مداي لا يبلغ مداه.. كنت قربه أشعر بالاطمئنان والسكينة. لا أعرف الخوف أبدا.. كنت أرافقه في الصيد وأواجه سباع الصحراء.. لم يكن يتملكني خوف ولا رهبة، وأشعر أني في أمان معه وما دام قربي فنحن أقوى من القدر. إنني لا أصدق أنه يلقى مصرعه بأيد تافهة، بأيد جبانة تغتاله في مرحه وتنال منه ما لم ينله منه أشرس الأعداء في معركة مباشرة.

لونجينوس لقد لقي الخونة مصيرا جعلهم لا يفرحون بقطف ثمار جريمتهم.

زنوبيا وأن تكون تلك اليد الخائنة هي يد أقرب الناس إليه، ابن أخيه!

لونجينوس أحقا ما كنت قد سمعته يا مولاتي من أن الفرس قد رشوه ليقترف جريمته؟ لقد كنت حينذاك في أثينا.

زنوبيا أو تظن إذن أن ذلك العقاب الذي أوقعه به أذينة عليه لوقاحته سبب كاف لاقتراف مثل هذه الجريمة النكراء؟

لونجينوس سمعت أنه جرده من حصانه يوم الصيد حين رمى بنبله قبل عمه وقائده.

زنوبيا كان مايونيوس شاباً مغروراً أحمق لا يعرف كيف يحترم رجلاً عز نظيره. حتى ابن فالريان، إمبراطور روما، كان يعتبر أذينة نداً له في حكم الشرق. ويأتي هذا الوقح ويرمي بنبله سابقاً عمه ولا يلتفت إلى التحذير الأول فيردفه بوقاحة أخرى.

لونجينوس هل كان الحادث سببا لخيانته أم أن الخيانة باعث لتمرده.

زنوبيا ظننت حينذاك أنه كان يعمل للفرس، ولكن تبين لي فيما بعد أن الذين دفعوه إلى الجريمة...

لونجينوس ليسوا الفرس!

زنوبيا كلا! بل الرومان.

لونجينوس إن هذا أمر خطير يا مولاتي، إنه لا يمكن أن يصدق!

زنوبيا لدي من الأسباب والتعليل ما يجعلني مقتنعة بالذي جرى.. لقد تآمر عيه جالينانوس، هذا القائد الحقير المنهزم؛ إن لونجينوس.. إنني لا أخبر أحدا سواك يا أستاذي الجليل بهذا الأمر.. أردت أن أكتمه حتى عن نفسي.. أن تأتي الخيانة من الأصدقاء! أن يأتي اللؤم والحسد الأسود من الأصدقاء! أن يتآمروا عليه في الظلام، أن يطعنوه من الخلف.. لقد عجزت عن تصديق هذا الأمر ولكنه الواقع، أراه كما أرى شمس حزيران الطالعة عند الظهيرة.. لقد غدروا به؛ حطموا السيف الذي سلّ على أعدائهم، حطموا الشجاعة النادرة والقلب الكبير.. ما كنت أريد أخبر أحدا بهذا الأمر حتى أنت يا لونجينوس، يا من أثق به الثقة العمياء حتى يكون لي ما أريد.. حتى أحرر هذه الأرض من الرومان كما حررته من الفرس.

لونجينوس مولاتي! إن حماسك يجرف قلبي بالغبطة أنا الأثيني التعس الذي عرف قبضة الرومان الغاشمة على كنوز حضارته، وعلى حرية مواطنيه.. إن ملايين العبيد اليونان الذين بنوا الحضارة الرومانية تصرخ في دمائي كبرياؤها الجريح. ولكنني أخاف عليك. تدمر تناهض روما؟

زنوبيا نعم، سترى أن تدمر ستناهض روما وتخلع عنها التاج.. لقد فسدت روما، لقد غرقت في الظلم.. إن ملايين القلوب تتضرع إلى آلهتها أن تسقط روما ويسود العالم عهد جديد، يمحو عنها عار العبودية.. استيقظت

الصحراء يا لونجينوس.. أسمع هديرها.. أسمع صوت أذينة الغاضب من قلب الصحراء "لماذا نؤجر سيوفنا للرومان؟ لماذا نضحي بألوف الألوف من زهرات شبابنا لتروي دماؤهم جشع الرومان؟ لماذا نحمل كنوزنا صاغرين إلى روما ؟ لماذا نبني مجد روما؟ أمن أجل أن يزداد فجور أهل روما؟ لقد خربت روما الذمم، إن أي عضو في مجلس شيوخها يرتشي.. لقد اهتز فيها ميزان العدل، فرجح المتآمر على الشجاع، والوغد على الكريم، واللص على الشريف والزانية على الحصان. إن روما تجري إلى دمارها وانهيار سلطانها.. ليس دمها هو الذي يجري في عروقها.. نحن الذين نحقن في أوردتها دماءنا النقية.. لقد شاخت روما، أصبحت كتلة من لحم وشحم مترهلين.. عجوزاً شمطاء، فلماذا لا تنتصر تدمر على روما؟"

لونجينوس مليكتي, يا روعة هذه الأرض التي تخطو عليها قدماك.! يا أجمل مخلوقة ! يا من فاق سحرها كليوباترة...

زنوبيا كليوباترة! لا أحب التشبه بها تلك العاهر، عاشت لشهوتها ولكنني أعيش لمجد الإنسان وحريته.

لونجينوس عفوك يا مولاتي.. دعيني أنا الهرم أقبل يديك.. امنحيني هذا الشرف.. دعيني أمرغ وجهي في يديك.. أفقد كل حكمتي أمام سحرك وأتكلم كالأحمق..

زنوبيا لونجينوس! أيها الفكر النير، إنني مدينة لك بكل ما أعرف.. فتحت أمامي كنوز المعرفة.. يا أستاذي الجليل حاشا لي أن لا أعرف قدرك.

لونجينوس فكر نير يعش قرب قلب أحمق.. هذا أنا عجوز لا ينتفع بما يحويه رأسه. فليمل كنوز هذا الرأس الأشيب ذلك

الرأس الرائع المتوج.. إن عينيك تلتهبان.. لم أر في حياتي هذا الاتساع وهذا السواد.. لك كل وجودي يا مولاتي.. كم اشتقت لأكون قربك في مجدك كما كان أرسطو للإسكندر.. ولكنك ذات يوم ثار غضبك علي دون حق وثارت كبريائي وذهبت كسير القلب إلى موطني.. لا يمكنك أن تعرفي الحب الذي يحمله الأستاذ القدير لتلميذه النجيب.. أما أن يكون هذا التلميذ ملكة رائعة مثلك.. في مثل هذا الحسن وفي مثل هذا التوقد وفي مثل هذه الشجاعة..

زنوبيا لا تمدحني! أنا ثمرة عقلك النير، بفضلك عرفت هومر وأفلاطون وقرأت مسرحيات سوفوكل ويوريبيدس.. عرفت قدري كامرأة وتجاوزت هذا القدر..

لونجينوس يحمل الرجال الشجاعة، ويحمل الشيوخ الحكمة وتتمتع النساء بالجمال. أما أن تحمل إنسانة شجاعة أعظم القواد وحكمة أجلّ الشيوخ وجمال أروع النساء فهذا إبداع للطبيعة بلغت فيه أوجها..

زنوبيا لا أغبط نفسي إلاّ على ذلك اللهيب في أعماقي الذي يدفعني لتحرير الشرق.. أنا لست إلاّ ظلاً لزنوبيا إن لم أحقق هذا الأمر.

لونجينوس لا تصغ إلي إن حاولت تثبيط عزمك فالشيوخ يفقدون حماسهم.. ولكنني معك، أضع يدي في يدك، وأربط مصيري إلى تحقيق حلمك..

زنوبيا لونجينوس، أنت لا تدري لم ألححت عليك بالقدوم إلي؟

لونجينوس لا يا مولاتي، ولكنني قطعت جميع أواصري ببلادي بعد وفاة زوجتي ومقتل أبنائي.. أنا مستعد لأبقى قربك حتى الموت.

يدخل حاجب

الحاجب مولاتي! مدرس اللاتينية لبيدس يبغي مقابلتك..

زنوبيا ليدخل! (إلى لونجينوس) أنا لا أثق برومانى، فكن على حذر أمامه. (يدخل لبيدس) كيف تقدم تلاميذك باللاتينية؟

لبيدس يتقدمون بسرعة، وخصوصا الأميرتين الصغيرتين.

زنوبيا ووهب اللات؟

لبيدس أجد معه صعوبة يا مولاتي.

زنوبيا لا بأس، إنه كوالده يفضل مقارعة السيوف على استذكار صفحة واحدة من اللاتينية.

لبيدس مولاتي! إن الأميرين الصغيرين..

زنوبيا لا تشكوهما لي.. إن الأستاذ الماهر يجد طريقه لتشويق تلاميذه..

لبيدس يتمرنان على الرماية أثناء الدرس ينقفاني بالحجارة.

زنوبيا (باسمة) لا بد أنك رميتهما بتصريف فعل صعب.. أنا أيضا لم أحسن دراسة هذه اللغة بينما أتقنت اليونانية والمصرية والسريانية.. وأذينة حاول جهده وفشل.. كان ينسى في يومه ما تعلمه في أمسه، ويكرر الدرس فلا يعلق في ذهنه من تلك اللغة إلاّ النزر اليسير. وذات يوم غضب وقال "إن لساني العربي يأبى أن يعوج في لغة الأعاجم." اذهب يا لبيدس إنني أقدر جهودك وابعث إلي بوهب اللات فلي حديث معه..(يخرج لبيدس)

آه لونجينوس! كم أشعر بالراحة لوجودك قربي!

لقد انتهت المدة التي عينها الإمبراطور لحكم أذينة، ولما فشل في جعل ذلك الخائن الذي أعدمته ورفاقه، على العرش من بعده، صمت عن استسلامي مقاليد الأمور حتى لا يكشف من وراء تلك المؤامرة التي أودت بحياة زوجي الغالي. ولكنه اليوم وقد تناهت مدة حكمي، لا بد

وأنه سيعين غيري في مكاني وهذا ما لا أسمح به أبدا.. لن أتخلى عن العرش.. عن ملكي وحياتي يجب أن ينتهيا في آن واحد.. (يدخل وهب اللات)

(لوهب اللات) كان هنا أستاذك لبيدس يشكو إهمالك دراسة اللاتينية.. اقترب وسلم على الحكيم لونجينوس.

وهب اللات يعوضني تقدير مدربي على الفروسية بأنني أخف من ركب حصاناً، وأحزم من روضه جامحاً (مصافحاً لونجينوس)

زنوبيا لا أريد لك أن تنمي عضلاتك على حساب عقلك..

وهب اللات هل كان أبي غير عاقل لأنه لم يحسن اللاتينية؟

زنوبيا سؤال ذكي ومفحم.. اسمع يا وهب اللات سأعفيك من دراسة اللاتينية وأرسلك مع القائد زبدة لاحتلال مصر، فتتدرب على القتال.

وهب اللات (يعانق أمه بفرح غامر) رائع، رائعة يا أمي! وأقود حصاني في معركة حقيقية!

زنوبيا (تداعب شعره وتتأمل وجهه) لقد نبت شارباك الفتيان.. فكن جديراً بدم والدك واسمه.. لا يبقى في الحياة إلاّ السمعة، فلتكن سمعتك عطرة.. لا تسئ إلى شعب مصر.. لا تترك الجنود ينهبون ويسلبون، فلا حق لهم إلا بأسلاب المعركة.. إن شعب مصر معنا.. نحن نحارب بسلاحهم، وبإرادتهم في التحرر قادة الرومان ومن يسيرون في ركاب الرومان.. نحن نحمل لهم الحرية ونرفع الراية الشريفة على ديارهم.. إنهم أخوتنا، يشاركوننا مصير الشرق الذي طال إذلاله.. نحن نحارب العبودية، نحن ثورة على العبودية.. هذه هي المعركة التي تذهب إليها.. إن لنا في مصر أصدقاء وعلى رأسهم تاجر ورق البردي يهيئون لنا كل ما من

شأنه أن يمهد لانتصارنا. اذهب واستعد، سأراك غدا قبل الرحيل.. (يخرج وهب اللات)

لونجينوس لقد تركته فتى لم يبلغ الحلم.. ما أشد شبهه بوالده..

زنوبيا أتمنى أن يشبهه في صفاته.

لونجينوس هذا الشبل من ذلك العرين.

زنوبيا لم يكن أذينة مجرد رجل شجاع.. كان يحمل في أعماقه لهب حضارة جديدة.. حضارة تنبع من الصحراء.. قدرا جديدا كان يحوك في أعماقه.. إنني أبكي فقده من أجل ذلك القدر الذي لم يعش حتى يحققه.. ولن يعرف قلبي المسرة حتى أحمل لواءه من بعده بنفس العزيمة والحماس، ولكن أنّى لي أن أكونه، أنّى لي أن أكون أذينة.. سأعوض ما أفتقده بك وبزبدة وبقوادنا الأبطال.. سأحول جميع رماة الشرق الذين يخدمون تحت لواء روما على رماة للشرق يخدمون لواء تدمر، لواء التحرر من العبودية.. إلى متى يبقى رماتنا يضربون فرساننا من أجل روما؟ وتمتلئ أهراء روما بقمحنا، ويزدهر على نسائها نسيجنا؟ كل سلعة نحن نصنعها هنا وتشتري روما كل شيء منا: سواعد أبطالنا، ومهارة رماتنا، وسفن صناعنا، وبضائع حرفيينا.

لونجينوس وعقول فلاسفتنا، وقوانين مشرعينا.

زنوبيا عبثاً أبحث عن سبب يجعل روما سيدة الأرض.. استيقظت الصحراء يا لونجينوس، إنني أسمع هديرها في صحوي ومنامي يقرع سمعي "آن للجسر أن يتحرر، آن للبحر أن يكون عربياً".

المشهد الثاني

غرفة في جناح زنوبيا (تدخل هرميون)

زنوبيا ما هي أخبار أهل إنطاكية يا هرميون؟

هرميون مولاتي، لقد كنت موفقة مع قائد الرماة، لقد اقتنع أن يأتي لزيارتك ويأخذ منك الأوامر (يتضرج وجهها خجلاً)

زنوبيا (باسمة) هل فعل ذلك من أجل تحرير الشرق أم من أجلك يا هرميون؟

هرميون يا مولاتي لست أدري ولكنني قد وقعت من نفسه موقعاً حسناً.. هكذا تبين لي.. لقد كان لهفاً ليأتي إلي ويراني مرة أخرى.

زنوبيا ماذا أفعل بدونك إن خطفك قائد الرماة يا هرميون؟ من الصعب أن نجد بسهولة من نثق بهم. يلتف حولنا العيون والمراؤون والكاذبون حتى نفقد القدرة على تبين الواقع الذي يدور حولنا.. ومع ذلك لن أقف في طريق سعادتك..

هرميون مولاتي إن قدرت لي السعادة فإنني لن أرضى عن وجودي قربك بديلاً.. سأجذب قائد الرماة ليعيش في تدمر، ليحمي عرشك.

زنوبيا إننا بحاجة إليه هناك في المقدمة، فأعداؤنا كثر والمتذبذبون في الولاء لنا أكثر..

هرميون سمعت أخباراً هامة يا مولاتي وأنا في إنطاكية.. فالأسقف بول ساموزاتا..

زنوبيا أعرف أن هذا الدجال باع مسيحه بالثمن البخس، حشد الذهب والفضة من عرق المساكين، واشترى الأرض والضياع.. من أين هبطت عليه الثروة؟ لم يرثها عن آبائه، ولم يحصل عليها بفنون الصناعة الشريفة.. لقد اغتنى بانتمائه إلى المسيحية.. كانت وظيفته طعماً يجر بها المغانم.. قصصاً كثيرة بلغتني عنه، يجمع المال من الأغنياء لا ليوزعها على الفقراء بل ليستبقيها لنفسه.. إن الرفاهية التي يعيش في كنفها تجعل المسيحية بغيضة لأعين الوثنيين.. والجماهير تصغي إليه، وتسحر ببيانه.. مسكينة تلك الجماهير.. كان لها سيد يستغلها على الأرض فأصبح لها سيد آخر يستغلها باسم السماء.

هرميون يا مولاتي، إن أمره في حدود شخصه لا يهمني بقدر ما يهمني ما ينشره حولك من بغضاء.

زنوبيا لا يهمني عاطفته نحوي.. هذا المهرج الذي أتقن الحركات المسرحية وأتقن حيل الصوت يتهدج أمام الجماهير بالمعاني السامية، يقلب الحق باطلا والباطل حقا فإذا ما فرغ إلى نفسه انغمس وأعوانه في جميع الملذات.. ملذات المائدة والجنس كأي روماني وثني.. هل تعلمين بأنه يحتفظ لنفسه بامرأتين شابتين جميلتين لتكونا مطية لفجوره في خلوته؟

هرميون إنني أخاف تأثيره يا مولاتي على من لا يملكون الحكمة الكافية ولا الوسيلة ليعرفوا حقيقته المزيفة.. الكاتدرائية تنشر فضائله وتمتدح بلاغته السماوية. والجماهير تصدق..لأخشى أن يصبح في النهاية في مصاف القديسين والشهداء.. وهو لا يغفر لمن يرفض طاعته ويتملّق غروره، فهو يغدو حينذاك عدوانياً منتقماً قاسياً..

زنوبيا إنني أقوى وأشرف من أن يستطيع أمثاله أن يلسنوني بسوء.

هرميون يا مولاتي إنه لا يجرؤ حتى على ذكر اسمك، ولكنه ينتقد بمرارة أن تكون امرأة تحكم الرجال..

زنوبيا امرأة! أيقول امرأة؟ أيعيرني بجنسي؟ لو كنت امرأة كمحظيتيه لحق له هذا القول.. لو كنت امرأة كنساء روما الفاجرات اللواتي يبدلن أزواجهن كما يبدلن ثيابهن لحق له هذا القول لو كنت مثلهن أرفض أمومتي وأعيش لمتعتي لكان منصفا فيما ينعتني به، ولكنني امرأة ارتفعت بكفاءتها كما يرتفع كل رجل في قومه بشجاعته وحكمته ونزاهته.. ولكنني امرأة تحمل في أعماقها هدفا غاليا لا يقلق بال الرجال من أمثاله.. الخانعين لروما المتلهفين على إرضائها، وكسب رشاويها.

هرميون إنه يقنع الجماهير يا مولاتي بأن السلام هو الخلاص الأبدي للإنسان.

زنوبيا كلام حق يراد به البطل. السلام وأقدام روما الوثنية تسحق أرض الشرق؟ يا له من رجل منافق! إن السلام يناسبه، تتكاثر فيه ثروته كما تتكاثر ديدان المستنقعات. ليس له قلب يحترق من أجل مستقبل الإنسان وحريته.. يريد الخلاص الأبدي له بالاستسلام للباغين عليه...

(تدخل وصيفة زنوبيا نريسا)

نريسا يا مولاتي حضر الأمير وهب اللات والقائد زبدة لاصطحابك إلى ساحة قصر الحير، لوداع الجيش الذاهب إلى مصر.

زنوبيا على الرحب والسعة، ليدخلا ريثما أهيئ نفسي! (تخرج إلى الرحبة الداخلية، يدخل زبدة ووهب اللات. نريسا

تحملق بزبدة بنظرات مستهامة ولكنه يشيح بوجهه، تخرج إلى الرحبة الداخلية لتساعد زنوبيا في لباس الميدان).

زبدة (مطرقاً، صامتاً. تدخل زنوبيا. متمتماً بإجلال) ما أروع مليكتنا بلباس الميدان!

زنوبيا كنت أتمنى لو كنت معكم على رأس الجيش، ولكن علي أن أنتظر الأحداث روما وردة فعلها.. هل هيأت نفسك جيدا يا وهب اللات؟ (تخرج هرميون)

وهب اللات نعم يا أماه.. أشرفت بنفسي على كل شيء.

زنوبيا على أتم استعداد؟

وهب اللات على أتم استعداد.

زنوبيا إن من يخوض البحر لأول مرة لا بد وأن يرتعش للماء البارد، ثم لا يلبث أن يعتاد الأمر..

وهب اللات إنني منفعل يا أمي للأحداث التي تنتظرنا ولكنني لست خائفاً.

زنوبيا اسمع يا وهب اللات.. إن سنك أصغر من أن تكون حرا من نزعات الشباب فاصغ إلى حكمة الكبار واسأل مشورتهم حتى يعجم عودك. ولا غرو أنك ستتمسك بنفس الثبات، كما كان والدك، بالشرف والحرية والصداقة أثمن ما يمتلك الإنسان، واحذر النفاق والمنافقين، واحذر التملق، ذلك السم الزعاف للقلب الصادق، واعلم أن الناس تتملقك بقدر مصالحهم الأنانية لديك، وبقدر نضوب عواطفهم نحوك. واحذر المجد والنجاح أكثر مما تحذر الصعوبات، فأنت في الوضع الأخير تشحذ كل طاقاتك، ولكنك في الوضع الأول تستسلم للراحة وتقع فريسة لأهواء الشباب.

وهب اللات سأعمل بنصيحتك يا أماه.

زنوبيا واعلم يا وهب بأنك في مصر ستجد الأصدقاء كما تجد الأعداء، فاعرف أصدقاءك واحذر أعداءك، ولا تعتمد على المتذبذبين الذين يهتفون بنفس الحماس الكبير لنصرك كما يهتفون لو خفت موازينك لنصر عدوك..

وهب اللات في أي صف أضع كهنة المعابد يا أماه؟

زنوبيا إياك أن تركن إليهم فهؤلاء أسياد العبيد، ولكن لا تستفزهم قبل أن تدالي الأمور لك. زمانهم ولّى وأخطر منهم الكهنة الجدد (تلتفت إلى زبدة) أتدري أيها القائد زبدة بأن الأسقف بول ساموزاتا يدعو للسلام؟

زبدة أمثال هؤلاء الرجال لا يلبثون حين يتشممون القضية الناجحة أن ينحازوا إليها.

زنوبيا حقاً ما تقول.. إن نجاحنا يستميلهم واستمالتهم تنجحنا.

(تخرج والأمير وهب اللات والقائد زبدة، تدخل نريسا وهرميون من مكانين متقابلين)

نريسا ما أخبارك يا هرميون؟ هل استمتعت بزيارة أهلك؟

هرميون لقد بسم الحظ لي يا نريسا.. كان الحظ ينتظرني في إنطاكية.. لا يمكنني الصمت (تدور على نفسها) أحببت يا نريسا وأحبني من أحببت.. إن الحب يفوق كل خيال، يسحر الوجود حولي، يجعلني أحب كل الكائنات.

نريسا أنت سعيدة يا هرميون.

هرميون وأنت يا نريسا، ألم يعلق قلبك بحب أحد؟

نريسا أحببت حباً لا رجاء فيه.. إن من أحببت لا يدري بي وبوجودي.

هرميون الهوى يعدي..إن العينين تلتقيان وتدركان في لمحة خبيئة القلب.

نريسا إن من أحب لا ينظر في عيني.. يسير مطرقاً كأنه يعد حصباء الطريق، وإذا تكلم نظر إلى الأفق البعيد.. إنه

لا ينظر في عيون الناس ليعرف ما تخبئه.. ولهذا يسهل خداعه.. لا يعرف صديقه من عدوه، ولا يبالي أن يعرف.. ولأنه مستقيم شجاع لا يلتفت يميناً أو يساراً ليرى من يقف في دربه حتى لو كان بينهم من يحمل له خنجر الغدر.. فكيف أطمح أ ن ينتبه لي ويعرف خبيئة قلبي؟

هرميون من هو يا نريسا؟

نريسا لن أبوح باسمه.. ولكنني سأكتشف السر الذي يغلق قلبه عن النساء فلا يتخذ له زوجة ولا محظية.. لماذا هو وحيد؟ لماذا يحب وحدته؟ سأعرف كل شيء عنه بإصرار امرأة فارسية نبيلة شاء حظها العاثر أن تقع في أسار العبودية وكانت في حرم شابور.

هرميون وأنا يرجع نسبي إلى البطالسة.. إنني سليلة دم ملكي ولكن لم يعفني هذا من أسار العبودية.. كم أكره الحرب والمعارك التي تقلب حياة الناس رأساً على عقب وترفع ذليلاً وتذل عزيزاً.

نريسا سأعرف كل شيء عنه إنه يعيش في عالم خاص به، يسحره ويجعله غافلاً عن العالم المحيط به.

هرميون سعيدة أنا أن من أحب ليس على هذا الشكل.. إنه جامح العاطفة، سخي القلب يحب المرأة ويحب الغزل.. سأجد الدفء لديه وسأعرف كرامة الزوجة والأم..(تدخل زنوبيا مع مربية أطفالها ماريا)

زنوبيا أراك يا هرميون قد التهب خيالك فوهج عينيك ووجنتيك

هرميون يا مولاتي أنا لا أحسن إخفاء سعادتي.

زنوبيا أخشى عليك يا هرميون خيبة الأمل. إن فينوس وعشتارت في جيلنا أتعس الإلهات.

هرميون ولكن الحب مقدس، الحب شيء جميل.

زنوبيا ربما اصبح هذا في زمن مقبل، أما في جيلنا فلا ما دامت العبودية تسود.

هرميون وما دخل الحب في العبودية يا مولاتي؟

زنوبيا لأنه يجعل النساء والرجال أحدهما في طبقة الأسياد والآخر في طبقة العبيد.

هرميون ولكن الحب يجتاز كل الحدود.

زنوبيا لا يا هرميون.. إن الرجل حين يختار، يتخذ زوجة لتنجب له نسله، ومحظية لترضي شهواته.

هرميون أتعنين يا مولاتي أنه لن يتخذني زوجة؟

زنوبيا كلا يا هرميون، ولن ينجب منك الأطفال حتى لو كنت أجمل امرأة وأفضل امرأة.

هرميون يا لتعسي! أيرفض علي أن أكون أماً؟

زنوبيا نعم يا هرميون، وإن حدث وأخطأت الطبيعة مراميه فلن يكون لأبنائك من الحقوق ما لأبناء الأسياد.

هرميون ولكنني لا أفهم.. إن قلبي يريد أن ينطلق، يريد أن يكون له كل شيء.. أكون طوع أمره كحمامة وديعة..

زنوبيا ستضيفين إلى نفسك عبودية أخرى.. إن الرجل يحب المرأة التي تعطي ولكنه لا يحترمها.

هرميون يا للهول!

زنوبيا ويحترم المرأة التي ترفض العطاء ولكنه لا يحبها.

هرميون يا مولاتي.. أيمكن للأشواق الناعمة الحلوة أن تتكسر على مثل هذه الصخور؟

زنوبيا نعم يا هرميون لأن روما العجوز الشمطاء تريد لقانونها أن يسود العالم.. إنها عدوة الحب.. لقد أرضخت حتى كليوباطرة الملكة لتكون محظية لأنطونيو لأنها امرأة تحب العطاء ولأنها ليست رومانية.

هرميون كيف يجب أن تكون المرأة ؟ كيف عليها أن تتصرف؟

زنوبيا إنها جريمة في حق نفسها لأن العطاء اقترن مع البغاء.. عبثا تبحثين عن الحب في هذا الزمن.إن كنت تحترمين نفسك فعليك أن تحطمي أنوثتك.. لا تقربي الرجل الذي ترتفع مكانته فلا يرضاك إلاّ محظية له.. لتكن بادرتك بيدك وإلاّ أصبحت مجرد أداة.. ليتعب في كسب ودك كل مرة كما تعب في ذلك لأول مرة..

هرميون ولكنني لا أحمل هذه القدرة.. أنا لا أعرف مناورة العواطف.. إنني ساذجة بسيطة لا أعرف أن أكتم ما بي..

زنوبيا إن انتصرت يا هرميون فسأجنبك مأساة الحب.. ستكونين كما أنت وسيحترم الرجل عطاءك، لأن القانون الذي أريد له أن يسود هنا في الشرق سيعيد للمرأة مكانتها. سيحررها ويحرر جميع العبيد..

ماريا مولاتي لست أدري ما نفعل بأنفسنا إن تحررنا.. إنني راضية عن حياتي لا أريد لها بديلاً..

زنوبيا عندما يكون التغيير للأفضل، فلن يكون المستقبل إلاّ أفضل من الحاضر..

ماريا أنا لا أستطيع أن أتصور أنني سأحب أطفالي كما أحب أطفال مولاتي، وخصوصاً الأميرة الصغرى..

زنوبيا وهم يحبونك يا ماريا.. إنك مربية ممتازة، ولا شك أنك ستكونين يوما أماً ممتازة..

ماريا أحب كل الأطفال.. أشعر أنني طفلة مثلهم بأشواقي ولكنني أعقل منهم.. أحب مقالبهم وأضحك معهم وأحزن لهمومهم الصغيرة.. لا أستطيع أن أرى دمعة في عين طفل..بحق اللات جريمة أن تدمع عيون الصغار.

زنوبيا ولكن الصغار ليسوا أبرياء إلى هذا الحد..يجب أن

تعاقب شرورهم الصغيرة حتى لا تكبر.

ماريا بحق اللات ليس من طفل شرير.. أنا لا أجد طفلاً شريراً.. إنهم يحبون الضحك واللعب ويكرهون من لا يضحك ويلعب معهم.

زنوبيا يجب أن أردع الأميرين الصغيرين..إن وقاحتهما تتكرر مع أستاذهما مدرس اللاتينية..شكاهما لي منذ لحظة..

ماريا مولاتي أرجوك هو ضيق متجهم معهم..

زنوبيا لا يجب أن يشجع الصغار على الوقاحة أبداً يا ماريا..

ماريا مولاتي أرجوك يا مولاتي لا تعنفي عليهما..دعيني أتصرف معهما باللين والحسنى..

زنوبيا لا أريد أن يتكرر هذا الأمر أبداً..

ماريا لن يتكرر أبداً يا مولاتي.. أعدك بأنه لن يتكرر أبداً..(تخرجان)

المشهد الثالث

قاعة العرش (تدخل زنوبيا ولونجينوس والوزراء)

زنوبيا لقد دعوت الأسقف بول ساموزاتا للمثول بين يدي، ولا أظنه إلاّ قادماً اليوم.

لونجينوس أسبق لك أن عرفته يا مولاتي؟

زنوبيا كلا، ولكنني لما أسمعه عنه كونت صورة وافية عنه..

لونجينوس احذري مكره يا مولاتي.. إنه رجل أبعد ما يكون عن روح المسيحية..

زنوبيا أسبق لك أن عرفته؟

لونجينوس إنه رجل متقارب العينين يتحرك بؤبؤاه يمنة ويسرة ليعرف ما يترك كلامه من أثر ليتراجع عنه في الوقت المناسب، وهولا يرضخ إلا للقوة ويبدي غير ما يضمر، ويحسن التملق والزلفى إن اشتم منفعة ينتفع بها، فإذا ما خاب أمله كشر عن أنيابه وأصبح مفترساً قاسي الفؤاد ؛ وهو قادر على أن يجتر الحقد الدفين سنوات متحيناً فرصة الانتقام.. لقد عرفته قبل أن يصبح أسقفاً، إن صفاته كانت ترشحه ليكون جابي الإمبراطور في إنطاكية يسلخ جلود التجار والصناع والفلاحين ليختزن لنفسه نصف ما يجتبيه ظلماً وعدواناً لا أن يكون أسقفا لكاتدرائيتها..

أحد الوزراء سمعت عنه هذه القصة من التاجر نفسه الذي جرت معه..إنه تاجر الأغنام أدموس يا مولاتي وهو رجل ساذج واسع الثراء أودع عند الأسقف ثروته ريثما يحج

إلى بيت المقدس ولما طالبه بها بعد عودته قال له أنه تصدق بها على الفقراء والمحتاجين. ولما ثار الرجل قائلاً بأنه أودعها عنده وديعة قال له "ألست مؤمنا؟" أجاب "بلى" قال "لا يدخل ملكوت السماء إلا الفقراء وسيعوضك الله عنها." ولم يكن للرجل المسكين شهود فلقد وثق بالأسقف ثقة تامة، ولكنه حين تبين له حقيقته ارتد إلى الوثنية.

وزير ثان سمعت وأنا في إنطاكية العام الماضي أنه يتمارض كثيراً حتى تعوده الجماهير.. ويبث أعوانه بين التجار يخبرونهم بمرضه ويتحدثون بأن فلاناً عاده وحمل إليه كذا وكذا هدية، ويثيرون بينهم المنافسة، ولا يلبث أن تمتلئ أقبيته بالهدايا من زيوت وخمور وعسل وأقمشة وغيرها، ويقفون عند مدخل الدار لا يسمحون لأي كان أن يعوده ما لم يكن محملاً بهدية حتى لو كان من العبيد ومن الفلاحين المملقين.

زنوبيا إذا كان الرجل على ما ذكرتم فإن علاجه بيدنا وسنغمره بالمال..

وزير ثالث يا مولاتي إن من تشتريه بالمال يشتريه سواك بالمال حين يدفع أكثر.. أرى أن نفضح حقيقته ونعزله عن الجماهير..

زنوبيا لن يصدقنا أحد.. سيقولون تحامل أعداء..

وزير رابع ليس لنا يا مولاتي إلاّ أن نرسل لمثل هذا الرجل من يغتاله ويريح الدنيا منه..

زنوبيا لا أريد لمثل هذا الرجل أن يموت قديساً وتلعننا الجماهير (تصفق بيدها فيدخل الحاجب) أيها الحاجب ليدخل علي رئيس الحرس)

رئيس الحرس نعم يا مولاتي..

زنوبيا الأسقف قادم، فليستقبل أحسن استقبال بكامل أبهة الحرس ولتعزف له الفرقة الموسيقية نغم النصر، ولتأتيني به محفوفاً بالتكريم.

رئيس الحرس أمرك مولاتي.. (يخرج)

(يدخل الحاجب)

الحاجب رسول من روما يا مولاتي.

زنوبيا ليدخل رسول روما..(يخرج الحاجب ويدخل الرسول محيياً على الطريقة الرومانية).

الرسول أحمل رسالة من إمبراطور روما إليك يا مولاتي، وهو يطلب جوابها في الحال.

زنوبيا هات الرسالة(تتفحصها) لا أستطيع أن أقرأ هذا الخط الرديء (تناولها لأحد الوزراء) أسمعنا ما يقول إمبراطور روما..أنت تحسن اللاتينية.

الوزير مولاتي إن الإمبراطور كلوديوس يقول بأنه قد تناهت مدة حكمك وعليك أن تخلي مكانك للقائد الروماني الذي هو مرسله لحكم تدمر. وإنه يسمح لك أن تحتفظي بقصرك وأراضيك وبكل كنوزك التي حصلت عليها بحق من حروبك مع ملك فارس.

زنوبيا قل لإمبراطور روما أن شعب تدمر لا يرضى عن ملكته بديلًا. وأن زنوبيا لن تتخلى عن عرشها وتاجها أبداً.

الرسول هل أفهم يا مولاتي بأنك تتحدين روما وتعلنين عليها الحرب ؟

زنوبيا إذا رفضت روما قبول هذا الواقع فلن يكون بيننا إلاّ الحرب.

الرسول أليس من الأفضل يا مولاتي أن تتمهلي في مثل هذا القرار ولا تتسرعي به. قد تدفعين ثمناً باهظاً لمجد

ساعة. ازدهار الشرق جاء على يد روما..

زنوبيا إن الشرق يزدهر بدون روما مئات المرات على ازدهاره وهو ينوء تحت قدميها.. الشرق يعطي روما وهي تأخذ. والشرق يحمي روما وهي لا تملك القدرة على حمايته..فأي فضل لروما على الشرق؟ لتدع روما الشرق لأهل الشرق..إنه يحسن تدبير أموره بدونها.. أما إذا رفضت روما ذلك فلتلق الهزائم ولتحصد الحنظل والمرارة. فزنوبيا لن تكتفي بحكم الشرق بل ستخترق بعربتها المظفرة شوارع روما.

الرسول (يرتجف بذعر) مولاتي إن هذا الكلام خطير..

زنوبيا عندما يحكم عرش روما كل مغمور جبان فحق لزنوبيا أن تكون على عرش روما. (يخرج الرسول. يدخل الحاجب)

الحاجب مولاتي الأسقف بول ساموزاتا

زنوبيا ليدخل على الرحب والسعة (يدخل الأسقف) أهلاً وسهلاً بالأب الجليل.

الأسقف يا للسعادة بلقاء مليكة الشرق الرائعة.

زنوبيا تفضل واجلس إلى يميني أيها الأب المحترم..

الأسقف مولاتي غمرتني بلطفك.. لقد شاهدت وأنا داخل رسول روما مكفهر الوجه مقلوب السحنة يرتجف غضباً.

زنوبيا نعم لقد أدبناه كما يستحق.

الأسقف (يدير نظرة عاجلة بالموجودين) إن الرومان لا يرعون حرمة.

زنوبيا الرسول رسول لا نمسه بأذى، هكذا علمتنا حضارة الشرق، ولكننا أدبنا به طغيان إمبراطور روما الذي يحسب نفسه إلهاً ولا يريد لإرادة غير إرادته أن تسود..

الأسقف ولكن يا مولاتي لا قبل لنا على حرب روما.

زنوبيا لا، أيها الأب الجليل.. نحن الذين نملك ينابيع القوة، ولكننا نسلمها صاغرين إلى روما.. على أرضنا تصنع الثروات وتتفنن الأيدي المهرة، وتعرق الجباه وتهن الزنود القوية، وتهدر دماء الأبطال من أجل مجد روما.. كل الناس ساخطون، كلهم يريدون أن تبقى ثروات الشرق للشرق، وعلى رأسهم التجار الذين يدفعون الجزية الباهظة.. إن التجار في كل مكان من الشرق هم معنا، والعبيد الذين نعدهم بالحرية معنا والجيش معنا..

الأسقف يا مولاتي ولكن إذا نشبت الحرب فإن إمبراطور روما أول ما يهدم الكنيسة ولن تقوم بعدها للكنيسة قائمة..

زنوبيا أيها الأب ليست الكنيسة حجارة وطقوساً.. إنها تعيش في القلوب ثورة على العبودية، ولن يستطيع وثني شرس أن يهدمها أبداً.. والحجارة التي تهدم يعاد بناؤها ولكن لم تفترض الهزيمة سلفاً؟

الأسقف لست أفترضها ولكن على الحصيف أن يفترض أسوأ الظروف.

زنوبيا أتظن روما الوثنية تنظر بعين العطف إلى المسيحية ؟ إنهما طريقان لن يلتقيا أبدا، إنهما لا يتعايشان ..فإن هادنت روما الكنيسة فحتى اللحظة التي تضرب بها أعداءها وتبطش بهم واحداً إثر واحد وعند ذاك سترى عينها الغافلة تتوهج بنيران الحقد، ولن تسلم أبداً..

الأسقف ولكن حتى تأتي تلك اللحظة تكون المسيحية قد أثبتت جذورها فلا تخشى الاضمحلال..

زنوبيا يا ويل من يشترون العاجلة بالآجلة..سننتصر يا بول ساموزاتا، ولن تكون حينذاك في موقف تحسد عليه. سأقدمك إلى الجماهير لتحكم عليك وستخلعك وترمي بك

إلى الرغام يا من تخون أبسط مبادئ المسيحية، الثورة على عبودية الإنسان واستغلاله.. ماذا تأمل؟ ما هي مطامحك؟ أن تكون عبداً لروما؟ سيعرف كل الناس دجلك، ولن تستطيع خداعهم طويلاً..

الأسقف مولاتي يا مولاتي لم أكن أقصد..

زنوبيا يا للعار يا بول ساموزاتا.. كنت أظنك ستكون لي نعم النصير.. إن مصيرك متعلق بمصيري.. إن مجدك متعلق بانتصاري على روما الباغية.. إن الجزية التي يدفعها الشرق لروما ستبقى في الشرق، ويكون لك منها النصيب الأوفى لتعمر الكنيسة، ويزداد أتباعها، وتزداد في كل يوم رسوخاً واطمئناناً.. ولكن ها أنت ذا تتخلى عني..

الأسقف يا مولاتي، يامولاتي!..

زنوبيا وكنت أريد أن أسبغ عليك النعم من خزينتي حتى دون أن تطلب مني شيئاً. فاذهب إلى إمبراطور روما واستجديه، وضع مسيحيتك في خدمة وثنيته..

الأسقف لا يا مولاتي بل أضعها بين يديك.. إن قلبك عامر بالإيمان.. فدعيني أباركك.. ليتمجد اسم الرب في الشرق الذي تحكمه مثل هذه الملكة الحكيمة..يا مولاتي اغفري لي فنحن نؤخذ بالعادة.. ولم يعتد الشرق أن تحكمه امرأة.. إن الرجل فينا يتملكه الشعور بالصغار والمهانة..

زنوبيا ليست إذا كانت تلك المرأة زنوبيا التي قهرت ملك الفرس شابور.. لقد تدنت مكانة المرأة لأنها عجزت عن حمل السلاح، فإذا ما وجدت تلك المرأة التي تخضع القوى الباغية كما تجندل الأسود والنمور ودببة الصحراء، فلا مجال للرجل أن يشعر بالغضاضة أبداً..

الأسقف يا مولاتي كلما ازددت معرفة بك ازداد تقديري لك.. إنني في خدمتك، فقط لا تعرضيني ولا تعرضي الكنيسة لبطش روما..

زنوبيا لك منا راتب شهري نعينه لك لتنفقه على الفقراء والمحتاجين، وللكنيسة مبلغ آخر يصرف على شؤونها وعمرانها، ولحاجاتك مبلغ غيره أنت حر في التصرف به..أيها الحاجب! (يدخل الحاجب) قد الأب الجليل إلى الخازن وليسلمه المبلغ الذي كنت قد احتجزته له.. البدر الثلاث من الدرجة الأولى.

المشهد الرابع

غرفة في القصر. (تدخل هرميون وقائد رماة انطاكية زيد اللات.)

قائد الرماة ها أنت تريننني يا هرميون لم يهدأ لي قلب حتى جئت لرؤياك، وتعاملينني بهذا البرود؟

هرميون يا مولاي إنني لست جديرة بك..

قائد الرماة إن هذا الحسن جدير أن يرفع مكانة صاحبته إلى المكان اللائق بها.

هرميون ولكنه لن يكسر عنها إطار العبودية التي تسمها..

قائد الرماة الحب يرفعك ويمنحك كل ما تطمح إليه المرأة.

هرميون إلى أية مرتبة؟

قائد الرماة إلى مرتبة دونها مرتبة الزوجة الشرعية.

هرميون إلى مرتبة المحظية، ولكنني يا مولاي...

قائد الرماة ماذا يا هرميون؟ أيمكن لرجل مثلي أن يسبغ على شابة مثلك أكثر من هذا الشرف؟

هرميون إنني أختلف عن سواي ممن هن في وضعي يا مولاي. لقد ربيت على يدي ملكة الشرق زنوبيا.

قائد الرماة ولكنني لست أبخسك حقك.. أهبك أقصى ما يمكن لرجل أن يهبه: حبي ومالي ومجدي.

هرميون إنني أنتمي إلى عالم جديد يا مولاي، عالم ثائر على العبودية..إنني أرفض الرتبة الدنيا للمرأة، أن أكون مجرد متعة للرجل..

قائد الرماة كم من محظية نالت من التكريم ما لم تنله زوجة..إن الزوجات متكبرات متغطرسات، لا يأنس بهن الرجل

ولا يجد عندهن الدفء والحنان. المحظية هي الزوجة الحقيقية للرجل, بينهما رباط الطبيعة الذي لا ينفصم.. هي شريكته الحقيقية في الحياة.. هي مصدر سعادته وإلهامه ولاهبة خياله.. وما الزوجة إلاّ أداة للإنجاب ومورد إضافي للثروة، واسم يتشرف به الأبناء..

هرميون ولكنني يا مولاي أشتهي أن يكون لحبي ثمار ممن أحب..

قائد الرماة هذا مستحيل يا هرميون.. إن الأمر خارج من يدي.. لا يمكن لي أن أنجب أبناء هم نصف أحرار وأحملهم هذا العار إلى الأبد..

هرميون سأنتظر إذن حتى تنتصر زنوبيا وتحرر الشرق من روما ونظامها العبودي وقوانينها وتجعل كل امرأة مساوية لكل امرأة..

قائد الرماة حتى الحرية لا تجعل كل امرأة مساوية لكل امرأة، فهناك فارق الثروة..

هرميون الحرية تشتري الثروة، إنها انطلاق للإنسان ليثبت جدارته.

قائد الرماة أنت تعيشين في الأوهام يا هرميون، ولكن هذا يضفي عليك سحراً خاصاً. وأجد نفسي منجذباً إليك راغباً في إعلاء شأنك وحمايتك من كل سوء.

هرميون كيف يكون الخلاص من العبودية وهماً؟ إنني أراه قريباً قريبك مني، النور يشع ويملأ قلبي بالبهجة والسعادة.. حلم الإنسان سيتحقق على يد مليكتي زنوبيا.. إنها امرأة لا تقهر.

قائد الرماة ولكن العبودية كانت من أقدم العصور، قبل روما واليونان وفارس.. إن ذاكرة التاريخ لا تعي عهداً كان فيه الإنسان حراً من العبودية..

هرميون سينتهي هذا الطاعون الأسود..سينتهي على يد ملكة الشرق حين تنتصر على روما.

قائد الرماة حتى لو انتصرت فإنها لن تغير ما اعتاد عليه الناس، وسيستمر الناس يمارسون العادات التي ألفوها في عهود العبودية.. الإنسان الأفضل بحاجة إلى تابع، والأرض بحاجة إلى عبيد.(تدخل زنوبيا)

زنوبيا لن يكون العبيد حينذاك من أسرى الحرب، أمما وشعوبا بأسرها، بل أحرارا يعملون بأجرهم وكفاءتهم، ويختارون سيدهم بمحض إرادتهم ويتركونه بمحض إرادتهم، ويمارسون العمل الذي يستهويهم ويكونون قادرين عليه، ولا يكون له عليهم حق الحياة والموت والأسر العبودي إلى أبد الآبدين هم وذراريهم.

قائد الرماة مولاتي! يا لسعادة عيني برؤيا ملكتي زنوبيا.

زنوبيا كان عليك أن تمر بنا أولاً وتستأذننا برؤية هرميون.

قائد الرماة عفوك مولاتي، قابلتها مصادفة قبل أن آتي إليك (تبتسم زنوبيا وتجلس)

زنوبيا إن وقعت هرميون من نفسك موقعاً حسناً فإنني أحررها وأهبها لك.

قائد الرماة أسمع منها يا مولاتي كلاماً غريباً، كأنها لا ترتاح أن تكون لي ما يجب أن تكون المرأة للرجل الذي يودها.

زنوبيا هذا لأن هرميون تجري في دمائها دماء الملوك.. إن لها كبرياؤهم ولا تملك حريتهم.

قائد الرماة لقد زادت في عيني رفعة.

زنوبيا أتجد من الغضاضة أن تنجب لك هرميون الأبناء؟

قائد الرماة أبداً يا مولاتي، ولكنني أفكر في مصير الأبناء.

زنوبيا بيدي خلاص مصير الأبناء.. هذه هي معركتي.. من أجل خلاص الشرق أحارب روما وقوانينها العبودية

التي تسود في منطقتنا..من أجل تحرير الحب على أرض الحب، ومن أجل كسر الأغلال عن عبيده، ومن أجل إنقاذ تجاره من دفع الجزية الباهظة لروما..

قائد الرماة يا مولاتي، إنني أخضع قوسي لمثل هذه الأهداف الغالية.

زنوبيا أهبك هرميون ومعها ثروة الحرات من النساء فلا تعلو عليها.. إن هرميون تستحق أن تكون زوجة لك أيها القائد زيد اللات.

هرميون (تقبل يدي زنوبيا) غمرتني بالسعادة يا مولاتي وأعدت لي حريتي أثمن ما في الوجود.

زنوبيا إنني أحسن مكافأة المخلصين على إخلاصهم.(تقف خارجة) سأترككما فأنا أنتظر اليوم عودة الرسل من مصر. فالحق بي أيها القائد قبل الظهيرة إلى القاعة لنتحدث في شؤون الدفاع (تخرج زنوبيا)

قائد الرماة سأحملك اليوم معي إلى إنطاكية (يطوقها ويقبلها) إن خيالك لا يفارقني منذ رأيتك.. أشتهي قربك، وأشتهي أن تكون لي ثمار منك، ياهرميون الغالية الحبيبة.

المشهد الخامس

قاعة العرش (تدخل زنوبيا ولونجينوس)

زنوبيا حتى الآن لم تصل الرسل من مصر. إن قلبي يشتعل بنار اللهفة لأعرف ما حدث.

لونجينوس هل كنت واثقة يا مولاتي من معونة فرمس في مصر، وهل معونته كافية للمعركة؟

زنوبيا كان فرمس صديقاً شخصياً لأذينة ولي منذ زمن بعيد. وحين كان يقوم بتجارته بين مصر والهند كان يمر بنا دوما ويحدثنا بآخر الأخبار في مصر.

لونجينوس ما مدى ثرائه؟

زنوبيا إنه من أثرى التجار.. حصل على ثروته من تجارة الورق كما حدثتك وبوسعه أن يمدنا بمساعدات كبيرة، فله كلمة مسموعة بين التجار وهو قادر على أن يجهز جيشاً بكامله بمفرده..

لونجينوس أيفعل ذلك من أجل طموح شخصي؟

زنوبيا إن الرجل طموح، ولكنه يمثل إرادة جميع تجار مصر الذين بلغ بهم الاستياء أشده لما يجري في روما من تبخيس لقيمة العملة. إن روما تسرقهم وهم يريدون جاهدين الخلاص منها. وأنا أعتمد على هذه الإرادة، والهدف المشترك ولا أعتمد على طموحه الفردي. وإلى هذا فلفرمس صداقات حميمة مع العرب وخصوصاً هؤلاء الذين يعيشون على شاطئ البحر الأحمر مما يجعلهم على صلة سهلة بمصر العليا. ولقد أرسل إليهم

أينما وجدوا يحرضهم ضد الرومان فيما إذا حاولوا الهجوم على تدمر.

(يدخل الحاجب)

الحاجب رسول من مصر يا مولاتي.

زنوبيا أسرع بإدخاله.

الرسول تحياتي إلى مليكة الشرق.

زنوبيا أرى من وجهك أيها الرسول أنك تحمل أنباء طيبة.

الرسول نعم يا مولاتي، لقد انتصر القائد زبدة على الرومان وطردهم خارج مصر، وأحلّ الأمير وهب اللات على العرش ليدير أمرها بمساعدة الولاة والأصدقاء.

زنوبيا ومتى هو قادم إلينا؟

الرسول إنهم على الطريق، لقد عاد بصحبة التاجر فرموس المصري، وأرسلت على عجالة لأطمئنك وأبشرك يا مولاتي..

زنوبيا أنت تستحق المكافأة أيها الرسول على هذه الأخبار السارة. أيها الحاجب (يدخل)، اذهب به إلى الخازن وليعطه بدرة من الدرجة الخامسة. (يخرج الرسول)سيخر إمبراطور روما صريعاً لهذا النبأ..أو يصيبه الفالج فيعيش باقي أيامه كسيراً مدحوراً.

لونجينوس لقد كانت حركة خاطفة موفقة لم يحسب لها الرومان حساباً.

زنوبيا مصر معنا! يداً بيد نحن ومصر..مصر بخصبها وثرائها وإمكانياتها العسكرية الهائلة! يا للروعة! إنني أتحدى بمصر جيوش العالم مجتمعة لا جيش روما وحدها..

لونجينوس يا لشوقي لرؤية الإسكندرية وجامعتها ومكتبتها، ويا لفرحي بالحديث مع فلاسفتها وأساتذة الفكر فيها.. يجب

أن تساعديني يا مليكتي على بناء مكتبة في تدمر على غرار تلك التي في الإسكندرية تجمع كنوز الفلسفة والأدب والعلوم، وتكون منارة أخرى عالية في الشرق.

زنوبيا لك ما تريد يا لونجينوس..أمهلني فقط حتى يهدأ بالي وأنتصر على روما.. يجب أن نشعر بالاستقرار يالونجينوس حتى نبني حضارتنا، والشرق لن يعرف الاستقرار حتى تسود إرادته ويتخلص من جذب فارس والرومان له.. هذه الرؤية النيرة كانت حلم أذينة، وكان جديراً أن يحققها، ولكنهم أخمدوا تلك الأنفاس الطاهرة؛ أخمدوها وظنوا أن الشرق ستخمد أنفاسه معها. لا! لا يا لونجينوس، أكون أمة لو لم أحمل الراية التي رفعها أذينة ورفعها قبله أجداده، عائلة السفري المجيدة، سبتيموس والإسكندر وحيران، ولن أكون جديرة أن أكون أماً لأبناء أذينة.

لونجينوس إن ثقتي بك لا حدود لها يا مولاتي..

زنوبيا شكراً على ثقتك بي يا لونجينوس.. إن الإنسان مهما بلغت ثقته بنفسه تمر به فترات حزينة تبلغ مرحلة اليأس بقدرته، وهو دائما بحاجة إلى تلك القلوب المخلصة التي تعزز له تلك الثقة وتؤكدها في نفسه.. إنني أعرف هدفي يا لونجينوس، وأعرف ثقل المسؤولية التي أحتملها في تحدي روما، وأعلم أن حافزي هو قدر الإنسان في هذا الشرق، قدر خلاصه وسيادته لمصيره، وليس حب المغامرة ولا شجاعة اليأس.. إن حافزي هو الحب لهذا الإنسان والطموح لأراه في مكانه اللائق به لا تابعا لفارس ولا لروما..

لونجينوس لن تنكر الأجيال يا مولاتي أن عهدك في الشرق كان عهداً زاهراً نيراً, عرفت فيه القوافل التجارية الأمن

والسلامة في غدوها ورواحها بين الشرق والغرب.

زنوبيا إن إله القوافل وحارسها ينظر إلي وإلى جنودي بعين الرحمة والحب..إنه يحمينا ويغدق علينا الرغد والرفاهية.

لونجينوس هذا لأنك تحرمين الخمر على الحرس والجنود، وهو يحب أولئك الصاحين الساهرين على رقابة القوافل، وحماية الأمن.

زنوبيا ما الفرق إذن بيننا وبين روما لو أننا نغرق مثلها حتى آذاننا بالفساد والفجور ؟ كيف ننتصر عليهم إذا تبنينا عيوبهم؟ هم يملكون الثروات الطائلة التي يشترون بها جيوش العالم لتحارب من أجل مجدهم، وينتصرون بالمرتزقة حتى لو كان على عرش روما أمثال جالينوس، الجبان الغادر، الذي كافأ أذينة في النهار على انتصاره على فارس بجعله نائب الإمبراطور على الشرق، ثم اغتاله بمؤامرة دنيئة في الظلام وهو في أوج مجده على يد أقرب الناس إليه.. كيف ننتصر على فجور روما إلا بأخلاقنا، وبتأجج قلوبنا للحرية، وبثباتنا وصبرنا حتى النصر؟

لونجينوس لا شك أن روما تنهار.. إنها تحمل في ضلوعها كل عوامل انهيارها، ولكن متى وإلام يدوم نزعها الأخير، لا أحد يدري.. إن معركتك يا مولاتي ستقرر مصير الشرق، ولست أشك أن حضارة جديدة، نقية، قوية، عارمة ستنبع من هذه الواحات الخضر الظليلة.. إن هذا اليوم قريب؛ لعلنا نعيشه، لعلنا نحيا فصوله الأولى، وساعات فجره وضحاه..

زنوبيا هذا هو القدر الذي أتحدث عنه، إنني أحس به بكل وجودي.. إنني أندفع نحوه بكل قوتي، وسيان انتصرت

أم لم أنتصر، فستبقى هذه الروح حية حافزة للأجيال القادمة حتى النصر.. لقد استيقظ الشرق يا لونجينوس، وانتصف النهار..

لونجينوس نعم لقد استيقظ الشرق وانتصف النهار.. إن روح الشرق الرحيمة المنصفة تجتاح روما الصلفة المتعجرفة منذ أن أصبح سبتيمس سفروس، الجد الأكبر لأذينة إمبراطوراً على روما. ولا شك أن أحفاده سيخضعونها!

زنوبيا إن روما تنقم علينا من أجل هذا؛ تعلم أية إرادة نحملها ونورثها للأبناء.. لقد جن جنونها يوم أصبح عربي إمبراطوراً عليها.. فهل عرفت حكماً أحزم من حكمه، أو عرفت مشرعين في عهده أكثر رحمة بالعبيد؟

لونجينوس لو لم يكن المشرعون من أبناء هذا الشرق لما عرفت قلوبهم الرحمة.. إن المعاناة وحدها هي التي تخلق فضائل الإنسان، لتفخر سوريا إلى الأبد ببابنيان وألبيان مشرعي روما!

زنوبيا وحق رب السماء، الإله الأبدي لتنتصرن إرادة الخير والسلام على أيدينا نحن في العالم..

لونجينوس يا مولاتي، إن بول ساموزاتا يعتبر نفسه بطل السلام في العالم..

زنوبيا هذا الدجال، قلبي لا يستريح له، لا أطمئن لنظرات عينيه، متذبذب مكار، يتحدث عن الهدى ويعمل بالضلال.. إنه بعيد عن الإيمان الذي يتحدث باسمه بعد الأرض عن السماء. ومع ذلك فأنا مضطرة للاستعانة به وتأليف قلبه.. وأعلم أنه لن يكون منسجما إلاّ إلى حين، وحين تواتيه الفرصة تدب عقاربه..

لونجينوس إنه لن ينسجم معك حتى تتبعي تعاليمه، وتكوني تحت وصايته..

زنوبيا أيكون بول ساموزاتا وسيطاً بيني وبين رب السماء ؟إنني قريبة من روح المسيح وأفهم ثورته على العبودية أكثر مما يفهمه، وأنا التي أحمل هذه الثورة لا بول ساموزاتا الذي جعل نفسه مداساً لروما.. إن سلامي هو السلام الذي يتحقق بعد التحرر من الظلم، لا السلام الذليل العبودي المتحال من تبعات النضال.. وحتى لو لم أستطع تحقيق هذا السلام، فلن يحققه أمثال بول ساموزاتا، بل أولئك الذين سيحملون راية التحرير من بعدي، وأولئك الذين يرضون بالتضحيات الجسام في سبيله.. هؤلاء هم الجسر الذي يصل الأرض بالسماء، وتفتح لهم أبواب الجنان وملكوت السماوات، ويورثون لهيبهم الأجيال تلو الأجيال..

(يدخل الحاجب)

الحاجب مولاتي، وصلت طلائع الجيش من مصر..

زنوبيا ماذا تنتظر؟ أدخلهم في الحال! (يدخل القائد زبدة والقائد ظبي والقائد مكاريوس وكبير التجار فرموس)
يا مرحباً برواد النصر!

فرموس بشراك يا ملكة الشرق.. لقد بلغت قمة المجد.. هزمنا الرومان، وتوجنا الأمير وهب اللات ملكاً على مصر، وأمرنا بصك نقود جديدة لا يكون عليها إلاّ رأس الأمير وهب اللات.. تخلصنا من نقود روما المزيفة وصهرناها وأبدلناها بنقود تدمر الحقيقية.. إننا سنشعر بعد اليوم بالأمان والاطمئنان على مستقبلنا.. وإنني أحمل لك باسم جميع التجار تهاني بالنصر، والولاء لحكمك أيتها الملكة العظيمة..

زنوبيا كان هذا النصر بفضل بسالة قوادنا زبدة وظبي ومكارريوس، وبفضل حماس جنودنا.. ولكنه ما كان

ليتحقق لولا مساعدتك الحاسمة يا فرموس..

فرموس يا مولاتي، كان أبناء النيل يتطلعون بأعين باردة لحاكم روماني يأتي وحاكم يزول، فألهبت مشاعرهم برغبة التحرر.. لقد أصبحت أعينهم تتقد بنار عجيبة تصنع المعجزات.. انضمت الألوف إلينا، وخفقت قلوب الألوف معنا.. جهزت الجيش بمالي الخاص.. لم أطلب مساعدة أحد من التجار.. كل شيء يا مولاتي، الخيول والسلاح والرواتب.. وصعقنا بهجومنا المفاجئ بروبس، قائد روما.. الكلام بسرك يا مولاتي.. إن ما يجعل جيش روما قويا هو جنودنا ورماتنا.. لقد لان عود الرومان فلم يعودوا يصلحون للمعارك.. كل ما يحسنونه هو الرقص، ولقد جعلناهم يرقصون رقصتهم الأخيرة..

زنوبيا إن لنا معارك أخرى معهم..

فرموس يا مولاتي، لو كنت رأيت المعركة! ما أروع النصر الذي يعفينا من دفع الرسوم والضرائب لروما! ستكون تجارتنا حرة، أينما سرنا في أرضك يا مولاتي، لن يكون هناك من يعترض سبيلنا ويجتبي الأموال منا ويهددنا بسلب الحياة والأرزاق.. سنكون في حماية جنودك يا مولاتي، قوافلنا في أمان وأموالنا في أمان لأن رايتك تخفق في هذه الربوع، الراية المظفرة التي هزمت فارس وهزمت الرومان.. فكيف يتردد الإنسان في أن يدفع حياته ثمناً لهذه الانتصارات لا أمواله وحدها؟

زنوبيا لا شك أنك تكبدت نفقات باهظة يا فرموس، وسنعوضك عنهابأحسن منها، وسنعفي تجارتك من الرسوم والضرائب حيثما مررت على أرض تخفق عليها

رايتنا..

فرموس أطال الله حياتك ومجدك يا مولاتي.. لقد جئت معي بهدايا متواضعة لمولاتي، من حرير مصر النادر الموشى بخيوط الذهب، ومن لآلئ الخليج وعطور الجزيرة والحلي التي سبكتها أيد مهرة صناع في فارس.. اسمحي لي أن أذهب لإحضارها حيث أودعتها مع رجالي.(يخرج فرموس)

زنوبيا إن الرجل نبع طيبة وسخاء.

القائد زبدة حقاً يا مولاتي إنه رجل. أي رجل في طيبته وسخائه، ولا عيب فيه إلاّ ما يضفي من سخائه على كلامه.. كاد يورطنا بوعود لم تنفّذ.. والعاقل عليه أن يثمن أقواله بنصفها حتى لا يفاجأ بمتاعب لا حصر لها.. لقد انتزعنا النصر انتزاعاً، ولو لم يحالفنا الحظ لحصدنا الهزيمة..

زنوبيا ألم يكن الرجل قد هيأ كل شيء قبل وصولكم؟

القائد زبدة كلا يا مولاتي، ولقد حدث كل شيء بارتجال وفوضى لا مثيل لهما.. واستطاع بعد بضعة أيام أن يجند فرقة هي دون ما كنا نؤمل ونعتمد عليه بكثير، ولولا استبسال جنودنا اليائس لما تهيأ لنا النصر..

زنوبيا هل كانت مقاومة الرومان شديدة؟

القائد زبدة لن أكون جديراً برتبتي إن بخست عدوي حقه، ولم أحسب لكل الاحتمالات حساباً.. كان الرومان يحاربوننا بجنود مراكش والقفقاس، وهؤلاء ليسوا هينين في القتال.

زنوبيا وكيف كان وهب اللات في المعركة؟

القائد زبدة كان باسلاً، جديراً بأبويه إلاّ أنه متهور يا مولاتي، ينتشي بنصره ويتابعه إلى التهلكة. لقد اضطررت

مرتين أن ألحق به وأعيده من ملاحقة الهاربين خوفاً عليه من أن يعزل فيسهل على الأعداء الإيقاع به.

زنوبيا جموح مهر يخرج من لعب الطفولة إلى جد الرجولة.. بودي أيها القائد زبدة لو أنك كنت قربه تنضجه بتجارب سنك، إلاّ أنني لا أستطيع الاستغناء عنك، فأنا أرتقب بين يوم وليلة هجوماً رومانياً. ولقد أرسلت في طلب قائد رماة إنطاكية زيد اللات واستملته إلى قواتنا ليحمي خطوط المواجهة الأمامية، وليكون درعاً يقيناً أمام احتمال تذبذب بول ساموزاتا وخروج الموالين لروما في إنطاكية.

القائد زبدة أرى يا مولاتي أن لا نعتمد إلاّ على قواتنا التي خبرنا إخلاصها.

زنوبيا إن إغناء قواتنا بمخلصين جدد قوة لنا. ومن الأفضل لنا مواجهة العدو على الحدود الموالية لنا من أن نتركه يتقدم في عقر دارنا.. وليس من السهل أن نقوم نحن بهذه المهمة وننقل الجيش ونجعله يرتقب طويلاً قبل الأوان، وخصوصا وأن الكثيرين يقومون بمهامهم في حماية القوافل.. إن قائد الرماة جدير بالثقة وهو لا يعترف بسيادة إلاّ سيادتنا. (يدخل قائد الرماة) أهلاً ومرحباً بقائد رماة إنطاكية زيد اللات. هذا هو القائد زبدة وهذا هو القائد ظبي وهذا هو القائد مكاريوس، وأرجو أن تتفقوا معاً على خطة موحدة للدفاع وللاتصال كي لا تفاجئنا الأحداث.. ليجتمع مجلس العشرة ولتخبروني بما يتفق عليه رأيكم..

قائد الرماة هل لي في طلب يا مولاتي؟

زنوبيا سل ما تشاء أيها القائد.

قائد الرماة أن أحمل معي هرميون إلى إنطاكية..

زنوبيا لك ما تريد أيها القائد.. ولو أن فراقها يشقّ علي. فهي أثيرة لدي كابنتي.. ولست أوصيك بها خيراً فحبها لك جدير أن يبوئها من نفسك المكانة اللائقة بها..

قائد الرماة ثقي يا مولاتي أنني سأرعاها وأنزلها من نفسي منزلة خاصة..

زنوبيا إنني أسلمها إلى ضميرك وشرفك أيها القائد..

قائد الرماة سأكون جديراً بهذه الثقة يا مولاتي (يخرج القواد للاجتماع)

زنوبيا إنه يوم حافل يا لونجينوس.. يجب أن نفيه حقه من الفرح والاحتفال.. إلي برئيس تشريفات أعياد النصر أيها الحاجب(يخرج الحاجب ويدخل فرموس ومعه بضعة رجال يحملون صندوقاً.. يفتحه فرموس، ويخرج مجوهرات..)

فرموس مولاتي، سعيدة هذه الأحجار النادرة أن تستريح على جيد ملكة الشرق زنوبيا..

زنوبيا أكل ما في هذا الصندوق هدايا نسائية؟

فرموس نعم يا مولاتي مجوهرات ولآلئ وحرائر وطيوب..

زنوبيا ابق ما فيه على حاله، سأقدمه هدية عرس لإنسان أثير لدي.

فرموس (مستنكراً) ولكن يا مولاتي إن قيمته تساوي مائة مائة وزنة ذهبا..

زنوبيا لا بأس يا فرموس، لقد قدرت هديتك حق قدرها.. ولكنني لن أحتاج إلى زينة النساء لأمد طويل فلقد قررت أن أرتدي ملابس الميدان حتى يتحرر الشرق (يدخل رئيس تشريفات أعياد بعل)

رئيس التشريفات نعم يا مولاتي.

زنوبيا يجب أن تقيم احتفالاً للنصر يشعر أهل تدمر أنهم في

ذروة السعد فيعتز الصديق بنا ويفخر بمجدنا، ويوجف قلب العدو الممالئ لروما فيداري وغره علينا..

رئيس التشريفات أمرك مولاتي..(يخرج)

زنوبيا أيها الحاجب ناد لي هرميون..

فرموس مولاتي ألن تحتفظي بشيء لنفسك؟

زنوبيا إن أثمن ما أحتفظ به لنفسي الغلبة على روما. أتدري يا فرموس كم من صناديق الذهب يذهب إلى خزائن روما من تجارنا وصناعنا وفلاحينا؟ أريد أن أعيد هذه الثروات إلى أهلها.. أفتستكثر صندوقاً أنفقه لتتحقق هذه الغاية؟

فرموس إن كان من أجل هذا فلا.. لقد ظننت يا مولاتي أنك تحقرين هديتي..

زنوبيا كيف يخطر لبالك هذا يا فرموس؟ نحن مدينون لك بنصرنا.. إنني أكرم هديتك إكراماً لم أفعله لهدية حين أكرسها لخلاص هذا الشرق (تدخل هرميون) تعالي يا هرميون، أهكذا أنت متلهفة لتركنا؟

هرميون إن شئت لي البقاء يا مولاتي بقيت.. ليس أسعد مني بقربك.

زنوبيا لن أتركك تدفنين زهرة شبابك قربي.. ستخلفك ماريا فاذهبي.. لتباركك عشتارت يا هرميون ولتملئي بيت زوجك بالأبناء الأصحاء الأكفاء، ولتقر عينك بهم، ولتعرفي السكينة والسعادة والرغد..

هرميون مولاتي، كم يشق علي فراقك.

زنوبيا وأنا كذلك يا هرميون، ولكن ما يخفف عني أنك هناك ستعملين من أجل الحرية، حرية العبيد وحرية النساء، وستكونين منارة عالية للسفن التائهة تمنحينها الأمل والفرح بالخلاص..

هرميون مولاتي، إن سعادتي مرهونة بنصرك، وسأفعل كل ما بوسعي من أجل هذا النصر، ولكنني أشك أن أكون ذات فائدة كبيرة لك.. فأنا لا أملك إلاّ قلباً محباً بين جوانحي..

زنوبيا إنك بهذا القلب المحب تفعلين العجائب يا هرميون، إن سلاحك، أقوى من كل سلاح، فكوني كما أنت واسعدي زوجك، وارفقي بمن أوقعهم الدهر في أسر العبودية تخدمين الحرية..

هرميون مولاتي هذا أهون ما يطلب مني، إنه طبعي..

زنوبيا ليس هيناً أن تسعد المرأة زوجها.. الانسجام أندر ما في الحياة، فكوني ساعية أبدا لهذا الانسجام حريصة عليه.. بهذا وحده تقنعين الرجل بجدارة المرأة في الحرية.. وخصوصا الرجل الذي تكونين رفيقة له، هذا الرجل الذي يقع عليه عبء كبير في تقرير مصير الحرية في هذه الربوع..

هرميون مولاتي، جعلت قيمتي تكبر في نفسي، وسأكون جديرة بدوري، مدركة لأهميته لا في حياتي وحدها، ولا في حياة أبنائي وحدهم ولكن في حياة كل إنسان يطمح إلى الحرية..

(يدخل مجلس العشرة ويأخذون أماكنهم، ثم يدخل القواد زبدة وظبي ومكاريوس يتقدمهم قائد رماة إنطاكية.

زنوبيا علام قر عليه رأيكم؟

قائد رماة إنطاكية مولاتي إنني أوافق على كل ما أشار به القائد زبدة..

هرميون مولاتي أتسمحين لي بالانصراف؟

زنوبيا نعم يجب أن تتهيئي للسفر وسأرسل معك من يحمل ويؤمن أمتعتك إلى إنطاكية.

هرميون الشكر لك يا مولاتي. (تخرج متبادلة مع قائد رماة

إنطاكية نظرة تفيض بالود)

زنوبيا بماذا أشرت أيها القائد زبدة؟

زبدة تأمين الاتصال الوثيق، حتى إذا ما برز أي جيش لروما في فريجيا علمنا به فوراً واستطعنا موافاة قائد رماة إنطاكية بجيشنا على وجه السرعة لصده، وسنكون متأهبين دوما فلا نؤخذ على غرة.

زنوبيا إنني أثق برأيك أيها القائد زبدة وعلي أن أرى مدى الصعوبات التي تعترض قائد رماة إنطاكية ومدى ما يتنبأ لنا من نجاح.

عضو مجلس العشرة أنطونيوس مولاتي لنأت بالعرافين إنهم أخبر.

زنوبيا لنترك العرافة والعرافين لأمثال جالينوس، فأنا لا أومن إلاّ بتنبؤ العقل الذي يرى الواقع بوضوح ويبني عليه تنبؤ المستقبل، نعم أيها القائد زيد..

قائد الرماة مولاتي نحن أفضل الفرسان والرماة، هذا لا شك فيه، فهنا تكمن قوتنا، ولكن عددنا ضئيل أمام ما تحشد روما من جنود مشاة، وفرسانهم أشداء.. والغلبة تكون من نصيبنا إن تحاشينا الالتحام وفرقنا جموعهم عن بعد، وأخذناهم كتلا موزعة.

زنوبيا ولكن جيشنا سيكون إلى جانبكم في المعركة.

قائد الرماة ولهذا أتنبأ بالنصر، ولكن هناك متاعب لا شك فيها في بلاد كإنطاكية تقف في خط المواجهة.

زنوبيا أعلم ذلك فما مداها بالدقة؟

لقائد إن سلطتي واسعة بين الرماة، ولكنني لا أملك هذه السلطة بين الفرسان.

زنوبيا ألا ينضمون إلينا إن عرفوا غايتنا؟

القائد قد يفعلون ولكنهم يوالون روما اليوم، فمنها يقبضون

رواتبهم.

زنوبيا سنفعل كل ما بوسعنا لاستمالتهم، فمن قائدهم؟

القائد القائد دانيباب.

زنوبيا من أي بلد هو؟

القائد من صور.

زنوبيا أعربي؟

القائد بلى، من العرب النباتيين المهاجرين.

زنوبيا سنجعله ينضم إلينا.

القائد وهناك بول ساموزاتا.

زنوبيا أصبح معنا.

القائد غريب أن أسمع هذا.. فمنذ أيام سمعته يخطب ويحذر الجماهير من تحدي روما ويسفّه رأيك يا مولاتي ويصفه بالحمق والتهور..

زنوبيا كان هذا في الماضي، وستسمع منه في الغد كلاماً مختلفاً أيها القائد زيد اللات.

القائد حسن..فإذا كان بول ساموزاتا معنا فلقد انتهت الصعوبات، ولا شك في نصرنا.

زنوبيا أريدك أن تستميل قائد الفرسان وسيستجيب لنا ما دام عربياً ولن يفضل حكم روما علينا.

القائد هل أرسله ليقابلك يا مولاتي؟

زنوبيا نعم، ولكن مهد لنا بإقناعه بما اقتنعت به فإنني أخشى أن تتداركنا الأمور..(يدخل الحاجب)

الحاجب مولاتي رسول بالباب.

زنوبيا ليدخل!

الرسول مولاتي!

زنوبيا ما عندك أيها الرسول؟ ومن أين أنت قادم؟

الرسول مولاتي إنني عبد آبق من روما وأنا من أصل سوري

وأدعى تيم اللات..فاغفري لي ما لوت العبودية من لساني.. لقد سمعت وأنا في روما أن زنوبيا ملكة الشرق ستشن حرباً على روما وتحرر عبيدها، فخاطرت بحياتي واحتلت على الهرب لأنضم إلى جندك يا مولاتي.. لقد انتهزت الفوضى بمقتل جالينوس...

زنوبياوآخرون هل قتل جالينوس؟

الرسول نعم.

زنوبيا (لنفسها) بودي لو قتل بيدي، إن الإنسان يأسف أحيانا لموت عدوه..(للرسول) من اعتلى العرش؟

العبد أورليان يا مولاتي.. سمعت هذا الاسم يتردد..

زنوبيا (موجهة الحديث إلى الحضور) هل سمع أحد منكم بأورليان؟

لونجينوس يا مولاتي، كان قائداً في اليونان، قيل عنه أنه شرس مكابر مغرور جاهل شبه أمي، هذا كل ما أعرفه عنه.

العبد مولاتي! لقد علمت قبل وصولي أنه أرسل قائداً من قواده لمحاربتك.

زنوبيا أين وصل الجيش؟

العبد لم يخترق بعد فريجيا.. إنه يتزود ويتضخم بمرتزقة من إليريا (يوغسلافيا وألبانيا اليوم وهي موطن أورليان)

زنوبيا لنستعد أيها الرجال، سنرافق قائد رماة إنطاكية.. أيها القواد البواسل زبدة وظبي ومكاريوس، خبروا جنودكم فالمسيرة الليلة بعد غروب الشمس.. ليتهيأ كل فرد وسنجتمع قرب معبد بعل للانطلاق فلا بد أن تصل رسل تؤكد الخبر..

فرموس مولاتي اسمحي أن ينقل رجالي الصندوق إلى حيث تريدين.

زنوبيا إلى غرفة هرميون.. اذهب معه أيها الحاجب ودله على

المكان.. ستكون في ضيافتنا يا فرموس وسيقوم رجال الضيافة بواجبك ريثما يحين أوان سفرك.

فرموس إنني مسافر إلى الهند في الغد وأدعو رع أن أهنئك بالنصر في طريق عودتي إلى مصر..

زنوبيا النصر ملكنا جميعا، وسأهنئك بدوري، فإلى اللقاء (تخرج، ويخرج القواد ومجلس العشرة ما عدا كلوديوس وأنطونيوس)

كلوديوس وعدتني أن تنصح الملكة بأن تتروى وتزن قوتها أمام قوة روما قبل القيام بهذا العمل الأخرق، وأقوم وإياك كوسيطين بينها وبين روما لتخفيف حدة النزاع..

أنطونيوس كنت قد رشوت العرافين لتثبيط عزمها ولكنها امرأة تركب رأسها، سمعت كيف جابهتني حين نصحتها بإحضارهم، وأخشى ما أخشاه أن ندفع جميعنا ثمن حماقتها..

كلوديوس لقد سمحنا أن تتولّى أمرنا امرأة ونحن جديرون أن يخيب سعينا.. ماذا لو انتصرت روما وعاقبتنا على تمردنا؟ ماذا لو أمرت القوافل أن تختار خط سيرها دون المرور بتدمر؟ ماذا يحل بنا سوى الخراب؟ نحن نعيش بفضل روما، بفضل ما تسبغه علينا من رخاء.. إن أبنيتنا الفخمة ومعابدنا الرائعة ومسارحنا الفاخرة، وحتى قبورنا الشامخة ما كانت لتكون لولا حضارة روما وازدهارها..

أنطونيوس إنها لا تترك فرصة لأحد أن يناقشها وينبهها إلى المخاطر التي تزج بها نفسها وشعبها.. لكأننا لسنا مجلس العشرة، بل مجرد أدوات تنفذ ما تريده هي وما تختاره هي..

كلوديوس المشكلة أن القوة في يدها.. الجيش يحميها.. إن أي

أحمق يمكن له الحكم ما دامت تلك القوى تسانده وحتى لو كان امرأة..

أنطونيوس وهذه النغمة التي طلعت بها عن تحرير العبيد؟ أتريد زنوبيا أن نقوم بخدمة أنفسنا؟ نتسلق أشجار النخيل لنقطف الثمار، ونحمل البضائع على ظهورنا، ونفتح الأراضي ونعزق الحدائق وننظف البيوت ونطهو الطعام؟ تصور نفسك وأنت بهذه البدانة تقوم بهذه الأعمال الشاقة..

كلوديوس إنه كلام تجتذب به العبيد والعامة لا أكثر ولا أقلّ.. لا أظنها جادة فيما تقول، وماذا يجد العبيد من العمل لو حررتهم؟ ولكن أنظر من هناك، العبد الآبق من روما.. ماذا تفعل أيها الرجل هناك؟

العبد (يفتح عينيه) أرتاح قليلا يا مولاي ريثما يسير الجيش فأسير معه.. لدي حصاني الذي هربت به، لقد سرقته من سيدي، ولدي سيفه ورمحه، ولن أكلف أحدا بتجهيزاتي..

كلوديوس أخبرني أيها العبد، ماذا يتحدثون في روما عن زنوبيا؟

العبد مولاي، أنا لا أدري ما يقوله الأسياد، ولكن العبيد في فرح يقولون "لقد وضع سبتيموس سفروس القوانين التي تساعدنا على التحرر بشراء العبد حريته بالمال الذي يكسبه من عمله، ولكن زنوبيا ستأتي وتحررنا دون مقابل، دون أن ندفع ثمن تحررنا.." الجميع في فرح يا مولاي.. وإذا دخلت زنوبيا روما فسيثور العبيد وينضمون إلى جيشها.. ثق يا مولاي أن هذا سيحدث.. إنهم ينتظرونها كما ينتظرون مقدم إلهة..

كلوديوس ما يدرينا أيها العبد أنك لست عيناً للأعداء علينا، وتنتحل قصة ملفقة؟

العبد إن كوني عبداً يكفي لصدقي، سأريك الوسم على جسدي.

كلوديوس لا يكفي.

العبد ماذا يطلب العبد أكثر من الحرية؟ وعندما أصبح حراً كيف أعود إلى القيد؟

كلوديوس أنت تخدم سيدك لقاء مال.

العبد العبد لا يشتري بحريته ثمناً بخساً.. إنها عزيزة عليه كالأعمى الذي أبصر النور.. لا يخدم إلاّ حريته ولا يخلص إلاّ لمن يحقق له الحرية..

كلوديوس العبد لا يشتري بحريته ثمناً بخساً.. إنها عزيزة عليه كالأعمى الذي أبصر النور.. لا يخدم إلاّ حريته ولا يخلص إلاّ لمن يحقق له الحرية..

العبد إذا كان ثمنا للحرية.. هل يفعل السادة غير ذلك؟

كلوديوس قد يفعلون.

العبد لست أصدق.. لقد انتظرت هذا اليوم طويلاً.. الحرية! إنها أعز ما يملك الإنسان..سقيتها بالعرق الذي تصبب مني غزيراً وأنا أقطع الحجارة تحت وقدة الشمس، وبالدموع التي كنت أذرفها في الليل قهراً.. ولكنني لم أمتثل في يوم من الأيام إلاّ مرغماً ولذلك كنت دائماً هدفاً للعقاب.. كان كراسوس وهذا اسم سيدي يدعوني " الرجل الذي لا ينام" وكان يكرهني لذلك..

كلوديوس يكرهك لذلك؟

العبد نعم، يكرهني لأنني أعجف بسبب قلة النوم.

كلوديوس ولماذا لا تنام؟

العبد لأنني أفكر كثيراً، ولأنني أكره النساء.

كلوديوس لماذا يكرهك سيدك لأنك تنفر من النساء؟

العبد لأن حب النساء يجعل العبد ينام.

كلوديوس ولماذا يهتم كثيراً بنومك؟

العبد حتى لا أفكر كثيراً فيهديني التفكير إلى قتل كراسوس ذات يوم..

كلوديوس (ضاحكاً) إنك عبد شرس لا يؤمن جانبه.

العبد لم يكن من السهل إرضاخي، ولم يكن من السهل رشوتي، فأنا كما أخبرتك أكره النساء..

كلوديوس لا بد أن سيدك كان كريما حتى يرشوك بالنساء.

العبد كان ماكراً يريد أن يأخذ باليسار ما يعطينيه باليمين حتى لا أشتري حريتي..

كلوديوس ولماذا لم تصبر حتى تشتري حريتك؟

العبد نفذ صبري.. إنني لا أملك شراءها إلاّ وأنا شيخ لا أنتفع بالحياة ولا تنتفع بي.

كلوديوس لست مقتنعا بقولك.

العبد هل من المعقول أن أعود إلى القيد وإلى قطع الحجارة وإلى السوط يجلدني؟

كلوديوس كيف أمكنك أن تقطع أرض الرومان إلى تدمر دون أن يعترضك أحد؟

العبد الفوضى يا مولاي ولباس السادة والفرس والسلاح.. لم يفتح أحد عن صدري الثياب فيرى الوسم..

كلوديوس سأنظر في شأنك.. أيها الحارس (يتقدم) احبسه ريثما نتحقق من أمره.

العبد أنا لم أهرب من أسر العبودية لأحبس في سجن الحرية من جديد.. لقد صدقتني الملكة زنوبيا فكيف تسيء بي الظن؟

كلوديوس كانت الملكة على عجالة فلم تعمل الفكر في شأنك.

العبد دعني أرى الملكة زنوبيا.. دعني أراها (يدخل قائد الحرس)

قائد الحرس ماذا يجري هناك؟ لماذا تقيد العبد أيها الحارس؟

كلوديوس أنا الذي أمرته بذلك، فقد يكون عيناً علينا..

قائد الحرس ولكن الملكة زنوبيا تريد رؤيته لتستفسر منه أكثر (يحل وثاق العبد ويخرجان معاً..يعود الحارس إلى مكانه)

أنطونيوس لماذا أردت سجن العبد؟

كلوديوس خشيت أن يكون استمع إلى حديثنا..

أنطونيوس ليس هذا المكان مناسباً كثيرا لحديثنا..لنذهب إلى معبد بعل.

كلوديوس بل هنا أنسب مكان.. سيظننا من يرانا نتحدث في شؤون رسمية..

أنطونيوس من تظن في جيش زنوبيا يرى رأينا؟

كلوديوس إن القواد يعبدونها..

أنطونيوس ما رأيك في مكاريوس ؟

كلوديوس ولكنه مغرم حتى أذنيه بزنوبيا..

أنطونيوس إنه مغرم بالعرش أكثر من غرامه بزنوبيا..إنه متعطش للمجد، فارغ الصبر لنوال مآربه.

كلوديوس ولكنه سيرافق الجيش..

أنطونيوس سنسعى لإبقائه على رأس مفرزة لحماية المدينة فإذا استطعنا إثارة طموحه جعلناه قوة بيدنا تجاه قوة الحرس التي تخاص لزنوبيا كل الإخلاص..

كلوديوس يجب أن نستلم السلطة والجيش مبعد.

أنطونيوس وإذا عادت منتصرة فكيف يكون موقفنا؟

كلوديوس أنها لن تنتصر.. فجيش الرومان أقوى من جيشها وهو الذي يسود..فإذا كان مشغولاً في الماضي بتأديب الملوك الذين يغتصبون السلطة ويريدون الانفصال عن روما، فلا بد أن يتفرغ لها الآن..

أنطونيوس إن مهمتنا خطرة.

كلوديوس روما هي التي ستنتصر..وستجدنا روما أوفياء لها فتعلي مكانتنا وتختارنا لمجلس الشيوخ الأعلى في العاصمة..

أنطونيوس يجب أن نذهب لنستبقي مكاريوس إلى جانبنا..

كلوديوس هل خلت الدنيا من الرجال لنولي أمورنا لامرأة!